نورالدين حنيف أبوشامة

سِيمْيَائِيل

إضمامةٌ في قصيدة النثر

نورالدين حنيف أبوشامة

سِيمْيَائِيل

إضمامةٌ في قصيدةِ النّثر

نورالدين حنيف أبوشامة
من مواليد مدينة الدارالبيضاء\ المغرب
عضو في الجمعية الوطنية لصقارة القواسم
خبير وطني في رياضة الأيكيدو
مهتمّ بمجال الإبداع و الفنّ التشكيلي
باحث في التربية و الفكر و الأدب
لوحــة الغــلاف مــن إنجــازي بعنــوان (قــوس الله)
Aboucham24hanif@gmail.com

إهداء:

...

إلى سين

و سين ولدتْ قبل الطوفان

قلبي كان سفينة

و عشقي كان لها اليابِسَةَ

ثمّ كانَ لَها خيرَ برهان

...

تقديم:

أحـاول فـي هـذه الإضـمامة أن أصـنع للكـلام صـيغةً تقتـرب مـن الشـعر في مهابـة أن أنظـم فـي قصـيدة النثـر التـي أحتـرم ضـوابطها و قواعـدها و أعرافهـا و تاريخهـا. و أتهيّـب أن أتـاخم حـدودها المحظيـة خشـية أن يقـوّلني غيـري مـا لـم أقلـه و خشـية أن أتجاسـر علـى النوع الأدبي الذي له دهاقنته و محترفوه.

مـن ثمّـة وردت فكـرة (سـيمْيائيل) و راودتْنِـي أن أبعثـر حروفهـا علـى وزن الملائكـة مسـتغْفِراً ربّي في هـذه الاسـتعارة الجريئـة. و مـن خلالهـا اعتبـرتُ (سـيميائيل) أرجوحـةً ممكنـةً و مطيـة رمزيـة احتضـن داخلهـا هلوسـاتي و تفـاعلاتي و مقـولاتي فـي مجـال الكـلام، و بعضـاً مـن هـذياني الّـذي يـأتي

متلبّساً في عباءات الشعر الّذي لا أقدر على محاصرته في ذاكرة المنع، فأرسله إلى القارئ يبحث معي عن شكل لهذا المخلوق الموسوم بالسيماء في شتّى تجلّياته الممكنة و اللاممكنة.

عباءةٌ خَضْراء

***

أشـهَدُ أنّ الْأخْضَـرَ أرْعَـشَ فِي تـارِيخِي الرّمـادِيّ ذاكَ الْوتَرَ الْأوّل.

و أشْـهَدُ بعْـدَ ذلـكَ أنّ دمِـي كـانَ رَنِينـاً، وَ كـانَ قِيثَارَةً غنّتْ لحْنَها الْأفْضَل.

لـمْ أكـنْ عـابِراً، بـلْ قلْبِـي كـانَ طُبـولا. و الْفـارِسُ الْقَمْحِـيُّ، نسَـلَ مـنْ رُوحِـي حزِينـا... ترجّـلَ عـنْ جــوادِهِ الْقُرْمــزيّ، خطَــفَ الرّعْشَــةَ ثــمّ غــابَ رَشِيقاً فِي اللّحْظِ الْأنْجَل.

كنــتُ صُــراخاً مفْتُوحــاً علـى الصّـهِيلِ. و كانــتْ أيْقُـونَتِي همْسـاً يُوجّـهُ رذَاذَ التّقْبِيـلِ فِي عَرْبَـدَةِ الْوجْنــات. و السّــؤالُ كــانَ أفْتــكَ وأقْتَــل و أشدّ. و كانَ أجْمَل.

هــا الصّــباحُ منــكِ يُهْــدِينِي الــرّيحَ مكشــوفةَ السّــاقيْنِ، تُعربِــدُ برقصَــتِها الماجِنَــةِ و تُحــرِّشُ عليَّ بعضَ الشّجر ...

و الشّــجرُ يُخبّــئُ في كفِّــي لــذّةً تارِيخيّــة و فِي مواقِيــتِ الْحُــزْنِ يُــدَحْرِجُ ابْتِســاماتِي، يرْسُــمُها غُموضاً أخْضَرَ و أشْمل...

يَشــربُني بُرْتُقــالاً نازِحــاً مــن شــرْقِ الــرّوح... غَرِيبَ السّبْرِ، عجِيبَ الْمنْهَل.

و لــوْ أحكِــي سِــيرَتِي لكــانَ الْبــدءُ أنــتِ... و لكــانَ الْخــتْمُ عَبــاءَةً لانَ سَــدَاهَا عشْــقاً أخْضــرَ، يحْكِــي أزلاً يرســمُهُ طيــفٌ جلِيــلُ الحضُــورِ... برُوحِنــا يتَسَرْبل.

ثلاثُ وِرْدات

***

الْجُـرْحُ امْـرأةٌ، تغْـزِلُ مـاكرةً في مَرايَاهـا الدّفِينَـة ثَلاثَ ورْدات.

واحِـدةٌ تُقشّــرُ خشــبةَ الْجسـد. تمْحُــو الْوشْــمَ الْــوثَنِيّ فِـي ذاكِــرَة الْصّــبا. تُعــرِّجُ باكيــةً علـى أطلالِ الرّوحِ المُسْتقِيمة. تُنْبِتُ السّؤال.

و ثانِيــة تُــدْرِجُ تــارِيخَ الطّعــنِ فِي مَعــاجِمِ الألــم. تشْهَقُ بِالْموّال.

و ثالِثَــةٌ تصْــحو علــى لُغَــةِ الــدّمِ. تمْسَــحُ اسْتِعاراتِ الْوجعِ بمَنادِيلِ الصّبر.

يرْتفِـعُ الـدّمعُ إلى مـآقِي السّـماء... حتّـى يكـونَ عجِيباً حبيباً، و صِنْواً لِلْخيال.

في أراجيح الرّوح

***

كـمْ جُرْحـاً أخْفَيْـتِ أيّتُهـا الْأيْقُونَـةُ الْورْقـاءُ فِـي صَدْرِي و قدْ كانَ صدْرِي غيْبا أخْضَر .

يتـدّثّرُ في عبـاءَةٍ سَـماوِيّة، يحتَفِـي بـالْفرْدوسِ، يقْتُلُ الْعدم. يرْبِطُ الْخوْفَ إلى هِلالِ الضّوءِ...

يعْـزِلُ النّـدَم عـن مـآقِي الـرّوح... يسْـتَجْدِي الْمـاءَ أنْ يتْلـوَ اسْـمَها سَـبْعَ مـرّاتٍ فِي صَـلَواتِ العِطرِ والْعنْدم.

هـي ذِي كامـلُ الْـوردة، و فِـي كامـل وعْيِهـا الْقُرْمُـزيّ تحمِـلُ الْجـرحَ فلْسَـفَةً، تلِـدُ النّهايـاتِ بِـداياتٍ، و تُسْـقِط اللّيْـلَ كلّـهُ مـنْ عمـرِ الصّفْصافات.

هِــيَ الْآنَ احْتِمــالٌ لَذِيــذٌ فـي أراجِــيحِ الــرّوح.
تذْهبُ في الْموجِ مذْهبَ الْملائكة.

تعْجِــنُ الألــمَ فِي رغْــوةِ الْمــاء الصّــائِم. و ترْفَــعُ آذانَ الغزالات فِي عَنانِ الرّيح.

تبْنِــي مــنْ أجْنحَتِهــا الصّــبورة أشْــرِعَةَ الْحُبُــور.
تُبْحِرُ جَنوباً في اتّجاهِ النّور.

تَرْسُو حيثُ اللّه...

و حيثُ نبُوءاتُها زغْردات باقِياتٌ صالِحات...

تمْـزِجُ التّـرابَ فِي مـاءِ الْحلـمِ... ثـمّ تنْظُـرُ. تسْـألُ مـنْ هـذا الْقـادِمُ في دَمِـي ؟ و مـنْ هـذا الْعـابِرُ الْمُعطّر؟ ...

خطوِي لا يأْسَن

****

أنـا رجُـلٌ لا أُعَـرِّي شَـجَرَةَ الْعفـافِ مـنْ أوْراقِهـا، و لا منْ ظِلّها.

و لا أضَـعُ فِي طَرِيـقِ النّخْلَـةِ كمـائِنَ الْعَطَـشِ، كيْ ألْتَهِمَ نسْغَها فِي دَمِي الْعجْلان.

أوْ أسْتَبِيحَ فِي رَخاصَةٍ عابِرَةٍ فَارِعَ شَمْسِها .

أنـا ابْـنُ الرّمْـلِ... لا يَـتَعَفّنُ خَطْـوِي. و مـاءُ وجْهِي لا يأْسن.

لا تَسْـحَرُنِي ورْدَةُ الْمتـاجِر. و تأسـرُني ريْحانَـةٌ برِّيّـة تكْبُـرُ فِي صمت، و تُحَيِّينِـي في سَـمْت... و تسْـألُ عنِّـي و عـنْ أحْـوالِي و عـن أهْـوالِي كـلَّ صباح.

تُقدِّمُ لِي وجْبَةَ فَطورٍ: وَجْهَهَا الْوضّاح.

أشْــربُ الْــوجْنتيْنِ معــاً ثــمّ أبْــدأُ يــوْمِي، أبْــدأُ سِيرَتي، أبْدأُ سَفَرِي فِي قلْبِ الرّياح.

أُنْثَى الْفَضاء

***

تأكـلُ أنْثَـى الْفضـاءِ خُبْـزِي الْمُرْسَـل فِي ذُهـولِ الْموائِـــد الْبَلِيغَـــة. و تقْضِـــمُ مـــنْ رُوحِـــي الْمُتَقَشِّفَةِ حلاوَتها الْمُتبقيّة، ثمّ تنْتَشِي.

تنْتَشِي فِي سَفَرِ الْفَمِ مثْلَ عقْلٍ تأبّطَ نورا.

تُـدْرِكُ الْأيْقُونَـةُ الْوحِيـدَةُ أنّ جِهـاتِ الـرّوحِ لـمْ تَعُدْ أرْبعاً. و كانتْ واحِدة.

فِـي شَـمالِ الْوَجْـدِ و فِـي جنُوبِـهِ انْتفَـى لُغْـزُ الْمسافات و انْتَهى حِسابُ الْبِدايات.

و بَقِيـتُ وحْـدِي... أجُـرُّ خشَـبَ السّـفِينَةِ إلـى قناعاتِ الْمُسافِرِين...

لـيْسَ لِـي ابْـنٌ عـقَّ الرّحْلَـةَ، و لـمْ أكُ حالِمـاً بالْيَابِسَةِ ما لم أجد للنادرة صورة.

هـي صـورةٌ تشـبِهُ الاسـتثناء. و تعشـقُ الكتابـة على صفيحِ الماء...

وجَـدَ الْوجْـدُ ضـالّتَهُ فِي أحْـلامِ الْيَقَظَـة. و كـانَ الْحُلمُ كِتاباً بغَيْرِ دفّاتٍ...

و بعنْـوانٍ غنّتْـهُ الْحمامـات. و الحمامـاتُ تـأتِي بالدّلِيلِ على عشقِ التّراب.

كانتْ مناقِيرُها الرّقِيقَة فرْحانَةً بِفُتاتِ الْجنّة.

جمَعْـتُ مـا تبَقّـى مـنْ كلامِهـا، عَجَنْتُـهُ فِي كـفِّ الـرّيحِ، نثَرْتُـهُ فِي وجْـهِ الـرّدى... ثـمّ قُلْـتُ: مرْحبـاً أيّتُها النّهايات... مرْحباً أيّتُها النّهايات...

هي الرذاذُ الجليل

***

تحْـتَ الْغيْمَـةِ الزّرْقـاء أوْ قَـابَ قَوْسـيْن، يرْسُـم الرّسّام الْأشْولُ وشْماً لِخدّ السّماء.

فِـي سُــخونَةِ الْألْــوانِ خَرَجــتْ حُــروفٌ بِلّورِيّــة، تنْفُخُ فِي رَوْعِ النّاياتِ خُرافَةَ النّقاء.

هِــيَ الْأيْقُونَــةُ الْخضْــراء أجمــلُ ورْدةٍ نقِيّــة وتقِيّــة... لا تُــتْقِنُ لوْحَــةَ الْعَوِيــل. و تنْسُــجُ بِسَمْتِ الصّمْتِ فنَّ الْقِنديل.

تمْشِــي علـى أنْفَاسِــها خشْــيَةَ أنْ يَطِيــرَ الطّيْــرُ منْ على رأسِ الْحُضُور.

و تقْــرأُ الْمــدَى بِعــيْنِ الْهُــوَيْنى رَيْثــاً سَــهْلاً و مُرْسلا و كأنّهُ الرَّذاذُ الْجلِيل.

تحْمِـلُ فِـي صَـدْرِها حكـايَتَيْنِ: واحِـدَةٌ لامْـرأةٍ نزَحَـتْ مـنْ جـوْفِ الْوَجـع... و ثانِيـةٌ لِفراشَـةٍ نزَعَتْ منْ وَجَعِها شَوْكَ الْفَزَع...

ثـمّ صـارَتْ إلى الشّـعْرِ تقْرِضُـهُ مثْـلَ خيـالِ نَهْـرٍ رَقِيـق .يتـدفّقُ في نُبـوغ و يسْـحَرُ الْسـماءَ فِـي ظِلالِ الْماء.

ثـمّ يبْنِـي فـي غيْبَـةِ الْـرواءِ شَـكْلَ صُـورَتِي و سَـوْرَتِي و ثَـوْرَتِي... و تـارِيخيَ الّـذِي لـم يُكْتـبْ بعد...

كيفَ لي ؟

****

كيـفَ لـي أنْ أقـيسَ درجـةَ النّشـازِ في فمـي و في دمي و أنا أعجنُ اللغةَ في فتنةِ الْمجاز ؟

و كيــفَ لـي أنْ أحــدسَ شــكلَ الــرّوحِ و هْــيَ تشاكِسُــني فـي برهــان الليــل و فـي منطــقِ النّهار ؟

ترســمُ خــدّ المســاءِ قُــبلاً ســائرةً في بلاغــاتِ الإعجاز ؟

أعـرف فقـط أننـي ميّـتٌ قبـلَ أن يضـيعَ صـوابُ هابيلَ في أتْرِبةِ النسيان.

و أعــرف أن مــوتي كــانَ غُرابــاً... و لا أعــرِف لِــمَ لــمْ تُعلّــمْ أنثــى الصّــبرِ ذاكَ القاتِــل القــديم سيرةَ الدّفن؟

هـل كـانَ الْغُـرابُ حكيمـا في لبـوسِ الـرّيش؟ أمِ الفاتنَــةُ علّمتــهُ أســماءَ المــوتِ و الحيــاةِ ثــم توارتْ لحاجَة في نفسِ السّماء...

كــلّ الأســئلةِ مريضــةٌ فـي حلقِــي إلا ســؤال الوجْد.

و أنــا إنْ مــتُّ لا تمــوتُ فـي شَــراييني ســيدةُ الْمهد، و لا تنْحني لريحِ الرّدى و الفقد...

تمسِــكُ الرّمــل في عنــفِ الكفــنِ، و تــزْرع بــدل نباتِ الرّيحان خُرافة الأقْحوان...

تســكبُ فـي رَوْعِــي كــلّ همسِــها و تخْتــارُني رسولاً لبساتينِ الْورد.

و سأصــبر علـى كفــرِ الحــدائق... علـى ضــجر القتاد و مكر النمارق.

و ســأبني لحبيبتــي روضــاً مــن الليمــون، أو كعبةً من شجرِ الزّيزفون.

ثــم أُلْغِــي كــل الطّــرقِ إلـى روضــتها. و أحــذفُ حجَّ الرّيح إلى صدْرِها الميمون.

حصّتي في القضم

***

في قِطـافِ الشّـجَرِ الْأخيـر، مـا حِصّـتِي أنَـا في ثمَـــراتِ اللّيـــل...؟ و هـــلْ إذا طَعِمْـــتُ لَـــذّةَ الْموتِ أكونُ قدْ خُنْتُ صَمْتَ الْفاكِهة؟

هِـيَ الشّـجرَةُ الْمكْلُومَـةُ قبْـلَ تـارِيخِ الْخُضْـرَةِ الْحسَـــنَةِ كانـــتْ شَـــقِيقَةَ رُوحٍ عَجِيبَـــة. كانـــتْ نبُوءَةً لِمِيلادِ شَكْلِ الْحبِيبَة.

كنـتُ صـدِيقاً لِلْعبـثِ الشّمْسِـيّ. و كانـتْ هِـيَ فِـي علْـــمِ الْغيْـــبِ صُـــورَةً مُرْتبِكَـــةً لِقَيْلُولَـــةِ الْهَمسِ...

لـمْ أبْـنِ لِسـمائِها أعْمِـدَةً مـنْ ظِـلال، و لـمْ أعْـفِ خَطْوِي من سِيَرِ الضّلال.

كنـتُ و كانـتْ، و كـانَ شـيءٌ مِـنْ الثّـوبِ ينْسُـجُ فاكِهتَهُ فِي مناسِجِ اللّهِ على عبَاءَتيْنِ:

واحِـدةٌ تغْـزِلُ يقِينَهـا فِي تـرْمِيمِ شَـظايا الْقَـدر، و ثانِيـةٌ تُرَتِّـبُ أسِـرّةَ الرّمـادِ، تطْمَـعُ فِي بعـضِ اشْتِعالٍ أو شَرارَة.

و معـاً... كانتـا رِداءَيْـنِ لِلْمـاءِ النّـاقِصِ و لِلْمـوْجِ الـرّاقِصِ. قبْـلَ أنْ يرْسُـمُ اللّهُ سـفرَ الْجسَـدَيْن في قفص الحدائق على رأْسَيْن...

في قِطـافِ الشّـجَرِ الْأخيـر مـا حِصّـتِي أنَـا في ثمَـراتِ اللّيـل... و هـلْ إذا طَعِمْـتُ لَـذّةَ الْمـوتِ أكونُ قدْ خُنْتُ صَمْتَ الْفاكِهة؟

خمّنْــتُ نِظــامَ قــوْسِ قُــزحَ فِـي ابْتِســاماتِها الْبرِيئَــة فوجــدتُ اللّهَ. ثــمّ قضــيْتُ تــوّاً علــى احْتِمــالِ الــدّخان. واعتَنَقْــتُ مِثْلَهــا عَقِيــدَةَ الصّفاء.

لبِسْــتُ قَلْبَهــا الأخْضَــر، و كــمْ لاقَ بِـي، و كــمْ لقْــتُ بــه ...حتّــى شَــرَحَنِي فُقَهــاءُ الْمجْــدِ فِي فلْسَــفَةِ الْواحِــد. و كنــتُ أنــا الْموجــودَ و كنــتُ الْواجِد.

و كانــتْ هِــيَ فِي ورَعِ الضّــوءِ، جمْــرَةَ الاِشْــتِعالِ الرّاكض.

في قِطــافِ الشّــجَرِ الْأخيــر مــا حِصّــتِي أنَــا في ثمَــراتِ اللّيــل... و هــلْ إذا طَعِمْــتُ لَــذّةَ الْمــوتِ أكونُ قدْ خُنْتُ صَمْتَ الْفاكِهة؟

في كفِّي لَيْلٌ عاشِق

***

عَيْنِـــي الْآنَ شُـــرْفةٌ تَتـــأوّهُ دفّاتُهـــا رَنِينـــاً مـــنْ عَضّةِ اللّيْل.

أكْتُبُ الْموْعِدَ الْأوّلَ فَيَصْرَعُهُ الضّوء.

و أرْسُـــمُ الْموْعِـــدَ الثّـــانِي فَتَخُـــونُنِي أصـــابِعِي الْعارِيـــة. تغْشـــانِي الْألْـــوانُ الْمَفْتُوحَـــة علَـــى فَـــمِ الرّغْبَة...

أجِـدُنِي شَـبِيهَ زُجـاجٍ يَصْـرُخُ فِي وجْـهِ الـرّيح بِـلا حـــولٍ و لا قُـــوّة. أصـــوغُ الْمَوْعِـــدَ الثّالِـــثَ فتـــأْتِي حَبائِلُ السّوادِ ناعِسَةً كَبُحَيْرَةٍ خَجولَة.

تحْمِــلُ فـي مَوْجاتِهــا الصّــغِيرَة قُبْلَــةَ امْــرأةٍ مَجْهولَـة وتضـمّ الْمـاءَ إلى صَـدْرِها، تقْضِـمُ مـنَ الْموجِ ما شاءَ لَها الْقضْمُ، نِكايَةً فِي الْغِياب.

عَيْنِــي الْآنَ شُــرْفةٌ تَتــأوّهُ دفّاتُهــا رَنينــاً مــنْ عَضّــةِ اللّيْــل. و اللّيــلُ ورقٌ يَسْــتَجْدِي سَــوادَ الْحبْرِ أنْ يمُدّهُ بِطُقُوسِ الْوجَعِ...

يرسـم أشْـجارَ الْوجْـدِ في مَدِينَـةِ الْاِنْتِظـار. و مـنْ مدِينَــةِ الْاِحْتِضــار يُرْسِــلُ الْمــوّالَ سَــاكِناً مثْــلَ حَفْنَةِ رَماد.

صَـابِراً مثْـلَ شَـرارَةٍ يَتِيمَـة تخْشَــى قَـدَرَ الْخبْـوِ و تَــدْعُو للــرّيحِ بِطــولِ الْعصْــف. و لِلْغــيْمِ أنْ تجِفَّ عَيْنُهُ الْمِهْطال...

عَيْنِـــي الْآنَ شُـــرْفةٌ تَتـــأوّهُ دفّاتُهـــا رَنِينـــاً مـــنْ عَضّةِ اللّيْل.

و اللّيْـلُ الآنَ مُجـرّدُ سُـؤال، يكْبُـرُ في خِلْـدِي و يُسـافِرُ إلى وجْنَتَيْهـا رَشِـيقاً مثْـلَ رَغِيـفٍ نبَـويّ، و عَمِيقاً مثْلَ أنْثى تشْتاقُ بامْتِياز.

اللّيْلُ رَسولٌ... و أنا قريةٌ كفَرَ أهْلُها.

أنـتِ الْآنَ أرْضٌ موْعُـودَة. و صَـالِحَةٌ لاسْـتِقْبالِ اسْـتِدارَةِ الْبـدْر... و مَخاضِـها الْمُرْتَبِـك فِـي امْتِحانِ الْوِلادَة.

هـوَ الْآنَ فَراشَـةٌ... كتِـفٌ... قُبْلَـةٌ... تحْلِيـقٌ خُرافِيٌّ...

نظْـرَةٌ فلْسـفِيّةٌ... وجـعٌ صـامِتٌ... تـارِيخٌ قـادِمٌ... اِنْتِظارٌ... اِحْتِضارٌ...

هـو كـلّ هـذا و غيـرُ هـذا و أكبـرُ مـن هـذا، و أنْـدرُ و أجْـــدَرُ أَلّا تُسَـــيّجَهُ الْأَسْـــماءُ و لا الأَرْضُ و لا السّماءُ.

هُـــوَ الْعَسَـــلُ الْملَكِـــيّ النّـــازِحُ مـــنْ فـــنِّ الصّفصافِ.

هُـوَ التّرْيـاقُ، و الشّـوقُ و الشّـفاءُ و هْـوَ الأجـلُ المَنْظومُ فِي ثَغْرِي يعْقُبُهُ الْبَقاءُ...

هُـو الشّـرْقُ فِي دَمِـي و هْـوَ الْغـرْبُ فِي فَمِـي يجْلُـوهُ لُجَيْنـاً فاتِكـاً هـذا الْمـدْحُ الآبِـقُ فيـكِ و الثّناءُ...

فكـــمْ يلْزمنِـــي مـــن قَـــرِيضٍ فِـــيكمُ و أنْـــتُمُ خُلاصَةُ الْعِشْقِ و النّقاءُ...

قُصورُ المَوْجود

***

هو جَسَدي قرْيبٌ منَ الشّوكِ.
و الْمِسْكُ حانوتٌ يُشِيرُ إليَّ منْ بعيد.
اللّيلُ منْخرِتِي التّائهة والنّهارُ فاضِحي.

كعكةُ الوجد

***

كــمْ طَوَيْــتُ الْوقــتَ الّــذِي أزْرى بنــاقَتي أن تُنيخَ فِي دارِ الْعشْق.

و كــمْ أطلْــتُ النّظَــرَ فِي سَــماءِ الْاِنْتِظــار حتّــى طلعَــتْ مــنْ هُنــاكَ زهْــرةٌ تارِيخِيّــةٌ، في كفِّهــا أغْنيّةٌ مجْروحَةُ، تقْضِمُ كَعْكةَ الْوجْدِ.

و تحْشُــرُ فِــي قُلّتِهــا الْمبْتُــورَةِ كــلّ أشْــكالِ الْمــاءِ... مــنْ فلْسَــفَة الْنّهْــرِ الْعــامِرِ بِــالْغزالاتِ الرّشِيقَة.

نَثَرَتْنِــي أوّلاً رَشَّــةً يَتِيمَــةً مــنْ جوْفِهــا الْقَــدِيم. و خرجْــتُ مثْــلَ فجْــرٍ يسْــتحِمّ فــي عيْنَيْهــا، و يتَنشّفُ ساذَجاً بالْهدْبِ النّعْسان.

كبُـرْتُ، و أنـا أسْـتدْرِجُ معِـي غيْمَـةً كَسُـولَة فِي احْتِمالِ الْعطَش.

كبُـرْتُ، و فِي يَـدِي سُـؤال مثْـلَ نصْـلٍ مَكْسُـور فِي جَسَدِي الْمثْقُوب...

مـنْ يُغَـذّي سِـيقانِي بِثَرْثـرةِ الْبحـر؟ و مـنْ يُقْنِـعُ الْموْجَ لِيكونَ صَدِيقي ؟

حمَلْـتُ معِـي مـن حُبّهـا غَرْفَـةً واحِـدةً، و مـنْ عيْنَيْها النّجْمتيْنِ غَرْفَتيْن . ثمّ ركِبْتُ...

ركبْـتُ الْـوعْرَ الْأزْرق و فِي قلْبِـي دُعـاءٌ يوْشِـمُ ظهْرَ الْماءِ فِي سِباقِ الْمُعْجزات.

عصَـمَ اللّهُ مجـادِيفِيَ الصّـغِيرةَ مـنِ انْتِصـاراتِ الْعطَل. ومشَيْتُ...

مشـيْتُ مثْـلَ خَيـالٍ قـدْ تعَشّـى فِي ضِـيافَةِ نبـيّ. ثـمّ أصْـبحَ رَفِيقـاً رائِعـاً للطّرِيـق الْجسُورَة.

عيْناها كانـتْ جَزِيـرَة .رسَـوْتُ فَكـانَ الّـذِي كـان. و كانـتْ هِـي الْمكـان، و كانـتْ هِـي الزّمـان. و كنتُ أنا الْمرْهَقَ فِي خُصومَة الرّيح...

لكنّ قلْبِي الْواحِدَ كانَ الْبُرْهان.

حكايةُ صفصافَة

***

لا شــيْءَ يُوسِّــعُ دوائِــرَ الــدّهْشِ الْشّــاعِرِ أكْثَــرَ منْ فراشَةٍ صادِقَة.

ولْـيَكنْ قَـدَرُها الْجميـلُ شَـجَرَةَ أكاسْـيا دافِئَـة. أو زَعْتراً لا يَحْتَكِرُ الْعِطْرَ فِي دَمِهِ السّاخِن...

هَــوَ ذا قَــدَرِي الآنَ، يرْسُــمُنِي طفْــلاً، غَــابَوِيَّ النّــزُوعِ، عاشِــقاً يرْتــادُ فِي صَــلَفٍ غــابرٍ أدْغــالَ الْخَشُوعِ...

يُرْبِكُ آفَةَ الْاِسْتِرْخاءِ فِي أرائِكِ الْخُنوع.

و أجِـدُنِي الْآنَ فِي عَيْنَـيْنِ بُنّيَتـيْنِ و فـمٍ أرْجُـوانِيِّ الْحَنِــين. و فِـي لَمْسَــةٍ أحْنَــى تُغــادِرُ الشّــبَهَ الْمُسْتكين.

تــرْفُضُ السّــهَرَ مــعَ قَرِيناتِهــا الْواثِقــاتِ بــأنّ اللّيْـلَ ملْكهـنّ. وتكْتَفِـي بِفجْـرِ الْيَقَظَـة... تظـلّ دائِماً فِي غزْلِ الْجمالِ متمَرّدَة.

تزْشُــقُ أشْــرسَ الْعتْمــات بِرَشِــيقِ الْوجْنــات نازِحَةً منْ أرْضِ الصّفْصافات.

تعْثُرُ على وجْهِي فِي عَظِيمِ الظّلْمات.

تمــدُّ الصّفْصــافةُ أصْــبعاً بِأنــاة، ترْسُــمُ ظِلّــي أوّلاً، تسْــتنْطِقُ جِلْـدِي مــنْ حــالاتِ الْطّــينِ إلى حالاتِ الْيَقِين.

تهَـبُ ثَغْـرِي الألْثَـغَ كـلّ الْمعنَـى و تَضَـعُ على خَدّي شَمْسَ الرّنين.

تحْـذِفُ الْمسـافةَ بـيْنَ عَيْنِـي و عَيْنِـي... تصْـنَعُ مساحةً للضّوءِ، ثمّ تضَعُ الْقُبْلَةَ الْعَنْقاء...

يُشْـرِقُ وجْهِـي فَـأقُولُ :هـلْ هـذا أنـا ؟ أم أولَـدُ ابْنَ الْفجْرِ؟

و هـلْ هَـذِي الّتِـي تصْـنَعُ إدْهاشِـي... إنْسِـيّةٌ تَضُـمّها الْأبْعـادُ، أم جِنّيـةٌ رَوَى حِكايَتَهـا الْجدّاتُ و الْأجْداد ؟

أمْ أغْنِيّـةٌ انْفلَتـتْ مـنْ مِهْرَجـانِ الْملائِكَـة؟ و أنْشَـدَها فِي خَسَـارَةِ الْوقْـتِ صَـبايَا الْعِشْـق و الْأوْلاد ؟

وَ كأنّ الْكَأنّ

***

لطيفٌ قَلْبِي إذا ما ذَكَرَ اسْمَها.
حزينٌ، وَ الْمَسافاتُ أمْلتْ حَسْمَها.
أكونُ إذا كانتْ، وَ لا أكونُ إذا كانتْ كَأنّها.
وَ كأنّ الْكَأنّ ترْشُقُنِي بِالنّوَى
و كَأنّ النّوَى، ماكراً، يُوارِي سَمْتَها.
هِيَ الْعُيُونُ، حَوْراءُ، جلَبْنَ الْهَوَى
وَ فِي كُحْلِها صَبْرِي أراهُ انْتَهى
فزِدْنَ اشْتِعالِي جمْراً على جَمْرٍ
حتّى نالَ الوقْدُ في الْفُؤادِ مَا اشْتَهَى
فإنْ كُنْتِ، كُنْتُ أنا الشّاعرَ الدّائِخ
و إنْ كنتُ الْقَنّاصَ، كُنْتِ أنْتِ الْمَها.

لمْ أكُ شاعِراً

***

لمْ أكُ شاعِراً إلا في حالةٍ واحِدة:
يومَ رَسَمتْنِي الْبلاغَةُ هواءً مُثَلّثاً
متَوازِيَ الرّنين

واحِدٌ في جوْفِ الْموسِيقى،
و ثانٍ حوّلَ اللّغَةَ نبِيّة.
و ثالِثٌ أدْهَشَ الورى فِي غيْرِ بُرْهان.

عشْقِي كانَ إشارَة

***

لـمْ تكـنْ آيـاتِي يومـاً فِي عِشْـقِ المِشْـكاةِ هُـزالاً أو ضُمُورا.

وَ مـا كـانَ عقْلِـي لِيمْـتصّ زَهْـراتِ الضّـوءِ في نظّاراتِـهِ الشّمْسِـية. ولـمْ يَـكُ قلْبِـي مظَلّـةً مثْقُوبَـة فِي شـاطِئٍ مُتسَـكّعٍ، ينشُـزُ نشَـازاً في قضْمِ الْحبّ، أو عُبُورا.

كنـتُ أحلُـمُ أنْ يكـونَ لعِشْـقِي تـارِيخٌ بـلا أحْـداث، و لا أيّـامٍ و لا صَـولات... و لا بِدايَـة يرْكبُهـا الْمُنقّبـونَ لِيَضْـبِطوا سِـيرتَهُ متَلَبِّسَـةً في العناق.

كانَ عشْقِي إشارَة، و كانَ أكْبرَ من عِبارَة

كـانَ حبّـاً يجـدِفُ بأجْنِحَـةِ الْفراشـات. يبـوسُ الْهواءَ بعيْنِ الْمها الرّشيقات.

يشـربُ يقَظَتَـه علـى نَسـائمِ الْفجـر. و يُصـلّي فاتِحـةَ النهـارِ علـى تراتِيـلِ موْلـودِ الشّـمسِ، يرْضـعُ أوّل الحلِيـب. يمـدّ لـي شـعاعاً هديـةً للحبيب .

ما يُصيبُني ليس لغة

***

لـوْ أشـقُّ ثِيـابَ الـرِّيحِ و أُلْحِـمُ جسَـدَها الْزّئْبَـقَ بِرذاذِ الْمطَر.

لوْ أنْثُرُني فِيها سَراباً مُباحاً فِي عقْلِ السّفر...

لكُنْـتُ ظـلّاً هُنـاكَ حيـثُ أنَـا، لَذِيـذَ الشّـمْسِ. ابْناً شَرْعِيّاً لِهمْسِ الْوَتَر...

لــوْ تكــونُ مزامِيــري و أعــازِيفِي بعْضــاً مــنْ صَــدْرِكِ الْمُزْهِــرِ لكُنْــتُ أنَــا الزّفِيــر، يرْسُــمُنِي الفراغُ مُدْهِشاً... و أكْثَر.

أيَـا عَازِفـةَ تـارِيخِي و أنـتِ الْمُفاجَـأَةُ اللّطِيفَـةُ. لُمِّــي تَفاصِــيلِي الْقَمَرِيّــة. اصْــنعِينِي اسْــتِعارَةً

جُورِيّــة مــا لَهــا فِـي الثّقَلــيْنِ شــبِيهٌ أو قَــرينٌ يُنْظَر.

نثَـرْتُ بـينَ يـدَيْكِ سِـيرَةَ الْمجنـونِ، فـانْثُرِي في رَوْعِـــي سِـــيرَتَكِ و حبّـــاتِ الْيَقِـــينِ أنّ مـــا يصِيبُنِي ليْسَ لُغَةً، و إنّما هوَ الزّمنُ الْأجْدر.

فراشةٌ واحدة تكفي

****

هـذا الْوجْـهُ الْمَنْسِـيّ زخْـرفَ قـدمَ الأيقونـة. طـرّز الكعْـبَ الْعبْقـريّ، ثـمّ مـدّ إلى نـارِ الْعنقـاءِ خـدّاً يعشقُ الْموت.

هـذا الْوجـهُ الْمُسـجّى في عيْنيْهـا سـفرٌ دائـمٌ فِي سَـرْدِ الْجـلال. يحْكِـي قَمِـيصَ النّـور في صـدْرِ فراشةٍ واحِدة، و تكْفِي فِي عُقْمِ التّحْلِيق.

فراشـةٌ واحِـدةٌ تكْفِـي كـيْ تفُـكّ أزْرارَ الرّمـل... تكْفِـي كـيْ يبُـوسَ الْمـوْجُ خـدّ الْبحْـرِ الْبعِيـد فِي قسْوةِ الْبقاء.

تُرْسِـلُ انْكِسـارَ الشّـاطِئِ إلى ظـلّ الْمـاء. تُنقّـبُ عنْ فاكِهَة مُحرّمةٍ فِي عقِيدَةِ النّاس.

ترفعُها إلى سماءِ الْاعتراف أن ما كان أخْضرَ هوُ الصّفاءُ في قلبِ الْرّيح...

و الرّيحُ خطْوٌ يُسْرِفُ فِي محْوِ الْماء السّاكِن في أجْنِحةِ الْفراشة...

تزْحلُ الْفراشاتُ، تمْضِي فِي مَراثِي الْفاكِهَة، تُعطّل أوْرادَ الْأجْنِحة، و تجدِفُ في الْغرَقِ بأيْدٍ دون حنّاء.

تحصِي في مشيئَة الرّمل خطْوَ الْبحر و البرّ، و تُحْصِينِي أنا المذْهولَ في تارِيخِ الْقُبلِ الْمُعطّلةِ فيلَسوفاً بدون فلسفةٍ و شيخاً بغيرِ مُريد ، و بغيْرِ أتْباع...

فهيّـا أيتُهـا الفراشـةُ الْمتبقيّـة مـن أعـراسِ الْغابات الكثيفَة.

هيّـا... كُلِـي مـنْ كتِـفِ الوقـوفِ مـا تبقّـى في المعْنى من موت...

كُلِي مـا شـئْتِ مـن حكايـاتٍ تخْتـزلُ العمـر في نقطة احْتِضار.

كُلي و أطْنِبـي في قضْـمِ الوقْـت. فـالْكتِفُ سـائرٌ إلى ترفِ النّشيد.

يقتنـي فـي دكـاكِينِ الهبـاء الْجميـل ألْبِسَـة العيدِ و العيد.

يُعطّـــرُ مناديلـــه الأخيـــرَة ببـــذْخِ الْخُزامـــى الْحجريّـــة، يضـــعُها فـــي خياشِـــيم الفراشـــة، يوشِـــمُ في روْعِهـا سـلطان الـذّاكرة أنّ مواسِـمَ الفرحِ خرافات...

إنجيةٌ تحرس سبعةَ أبواب

***

الفكـرةُ هـيَ أننـي نزلـتُ مـن تُهمـةِ الضـوء إلى شكِّ التّراب.

حملـتُ معـي فنّـي سـهواً، و سـهواً غنّيـت. و قلتُ في غيرِ ارْتياب:

كـمْ سـأنْتحلُ فـي وجهـي مـن سـطور؟ و الكمنجـاتُ في حلْقـي هـيَ آخـرُ الحكايـات. هـيَ آخر الكتاب.

ضـممتُ غَرِيـراً إلـى حرفـي المُقـايِضِ بـين المـوتِ و الحيـاةِ سـؤالاً جـديراً يرقـدُ فـي الغياب:

كـم أنثـى تسـكّعتْ في أبراجـي القاحلـة؟ و كـم عوســجةً عانقــتْ تربــةَ الغوايــة فـي صــدرِ مرايــايَ؟ تشــتهي المناجــلَ فــي مواسِــمِ الخراب.

عرفـتُ بـاكراً جـدّاً أننـي أكبـرُ مـن تـاريخي و أن فتـاتي الموعـودةُ إنْجيّـةٌ تحـرس لي في طقـسِ الخرافة سبعةَ أبواب.

بـابٌ للشـجرة... تلـبسُ قُفّـازةً مـن نـور و تعتلي منصّــاتِ العبــق و البخــور و تنتهــي فـي يــدي كما ينتهي في الماء شكلُ الانسياب.

و بـابٌ ليمونـةٌ لهـا عـينٌ متحفّظـةٌ و عـينٌ بـرنينٍ ملتهبـة تشـكو القضـمَ المـرتعش و تحلـو كلّمـا سالَ في فمي و في دمي مجدُ الذهاب.

و بـابٌ شـتاءٌ متقاعـد لـيس لـه أجنِحـة، و لـه كـلّ الأروِقَـة. يبـوس خـدّ النهـار، يمـدحُ العنـاقَ، و فراشـات الكتـفِ، و خرافـاتِ الكنَـفِ... يهـشّ للنور و الشعاع، و يمج اللّيلَ الْمرتاب.

و بـابٌ رابـع قـرصٌ قمـريٌّ قـابع في قلبـي و قـد أخّــرَ فـي ســماواتي المعطّلَــة أقمــارَ روحــي المرســلَة، ثــمّ راهــنَ فـي صــلفٍ علـى نجمــةِ الأياب.

و خـامسٌ بـابٌ سـحريّ يراوِحنـي بـين جـذبيْنِ: وسـادتِي و النهـار، يرسـم لـي في خـوفٍ سـفنَ الأحـلام و الانتظـار كنـزي هنـا و هناك...أشـقى فـي محبّــة و أشــكر اللّه الجميــل علـى هــذا الوِصاب.

و سـادسٌ بـابُ عطـر يصـوغُني رشـيقاً مثـل غزال.

و بـابُ سـابعٌ عليّ بـالنجمِ سـابغٌ، تتلـو ترانيمَـه امـرأةٌ صـاغها الله مـن روحـي و أسـكنها دوحي حتى لا تيهَ و لا اغتراب.

سِيمْيائيل

***

- سين:

سِـيرَتُكَ أيُّهـا الْمغْمُـورُ في بطْـشِ الـدّخان نـارٌ تنـــامُ فــي أرائِـــكِ الرّمـــاد... لا يَتْـــرُكُ فِيـــكَ الْإِشْـــتِعالُ إلّا دمــاً، يُشْــبِهُ امْتِــدادَ الرّمْــلِ فـي شَواطِئِ الْعطَش...

...

- ياء:

يـدكَ المشْـقُوقَة تمُـدُّ خطوطـاً وَدِيعَـة إلى فـنِّ الْمــاء. ترْجُــو صــمْتَ الْمصَــابِيح فـي صَــهِيلِ الأضْـواء. تبْنِـي مـنْ رُؤْيـاكَ الدّفِينَـة ألْـفَ حُلـمٍ مُعـاقٍ في وِسـاداتِ الْأُمْنِيـاتِ الْحزِينَـة. تكتُبُـكَ رَسائِلَ باهِتَة و قَصائِدَ بِدونِ مُوسِيقى...

...

- ميم:

موْتُـكَ خرافـة تحْكِـي لِلظّـلالِ تَقْـواكَ وَ رُشْـدَك فِي أقْـواسِ الْقَمَـر... تفْـتِنُ النّجْمـاتِ الْبَرِيئـات بِلُغَاتِ الْغِوايَة...

...

- ياء:

يومُـكَ قَصِـيدَة. تُسَـرِّحُ شَـعْرَها الْمـدْهُونَ في نســـائِمَ مُصْـــطَنَعة، تُرَتِّبُهـــا كاتِبَـــةُ مُخْـــرِجِ سِـــينِمائِيّ لـــمْ يبِـــعْ مـــنْ عَرْضِـــهِ الْفلْسَـــفِيّ إلَّا قَلِيلا...

- ألف:

أنْـــتَ الآنَ شـــكلٌ باهِـــتٌ مـــن الصّـــراخ. تعُـــدُّ أصـابِعَ الْخـوفِ، أصْـبُعاً أصْـبُعا... واحِـدٌ إبْهـامٌ يفْضَـحُ خـرابَ الـرُّوح. و سـبّابَةٌ اسْـتقالَتْ مـنْ

وغْـدِ التّسْـبِيح. و ثالِـثٌ خنْصَـرٌ يلْـبَسُ خاتَمـاً منْ حدِيد...

...

- همزة و ياء و لام:

يـا سـيمْيائيلُ... أنـتَ الآنَ مشـهدٌ، مِعْصَـمٌ فَقَـدَ فكْـرَةَ الـزّمن. كَسّـرَ سـاعَتَهُ الْيَدَوِيّـةَعلى مَقَاصِلِ الْاِنْتِظار.

فمـنْ يُلْبِسُـكَ أيّهـا الْمَنْسِـيُّ فـي أرْصِـفَةِ السّـرابِ، فَراشَـةً ذَهَبِيّـة... تُعِيـدُ إلـى وجْهِـكَ لـوْنَ الشَّـجَر؟ و لَـوْنَ صَفْصَـافَةٍ ترْتـاحُ فِي ظِلِّهـا الْبارِد هَنِيّاً مَرِيّا فِي وِساداتِ الْكوثَر؟

أنحتُ شكلاً لِفرسي الظامئة

***

حتّــى لــو طالــتْ يــدي فكــرةَ الســماء، فلــن أمسكَ برسنِ المسافات .

أعــدُو كبقيّــةِ الأنهــا، و أركــضُ مثــلَ شــجرة تُعانِــدُ الرّيــاح، في افتِــراضِ الســحابِ يقْــبِضُ واهِماًعلى مطرِ العراء ...

لســتُ تُراباً إلا في حالــةٍ واجِــدة، حــينَ أدْركــتُ عناقِيــدَ عقلِــي، تُمــارِسُ قطْفهــا المعْكــوسَ، على أصابِعِ المساء ...

حِينَهــا، عجّلْــتُ بانتمــائي إلى عصــابةِ الأفــول. و لــمْ تمْــضِ على فِراسَــتي خمســة عشــر قرْناً، إلا

و كنْــتُ تعلّمْــتُ فيهــا كيــفَ أهــدمُ و لا أنْــدمُ طقوسَ النّار و الماء...

كنــتُ ضــائعاً مثــلَ فراشَــة اعتنَقَــتْ قيافــةَ الضــباب، و دحْرجــتْ أجنِحَتَهــا فــي أراجــيحِ النــورِ، حــينَ النّــورُ اقْتــرضَ ملّــةَ الضــوء و آمــنَ ببدْعةِ الأضواء...

هــا أنــا وشــمٌ صــرِيحٌ علــى كتــفِ حجــارة. أتجاســرُ علــى أبــوابِ الْغــيم. أطلــبُ نحْــتَ شكلٍ لفرسي الظّامئة من ماءِ التأويل.

أعلّمُهــا أســماءَ الــركضِ، أعلّمُهــا فكــرةَ الصّــهيل.. و أدنــدِنُ في روْعِهــا أغنِيّــةَ النّحــيم حينَ صدْرُها الكريم يختلِجُ بالبكاء...

يــا وجــوديَ المطــرّزَ فـي حمْحمَــةِ التعــرّفِ...
امشِــطْ نتُــوءاتِ رُوحــي بحــافِريْنِ مــن كُمَيْــتٍ
لقبضــةِ الــرّيح تُغنّــي، و لِضــلْعها الجنُــوبِيّ تُعِــدُّ
موائدَ الركْضِ في عينِ الذُّكاء...

سبعُ صدفات

***

وحــدهُ الْمســاءُ يمتلــكُ أجــوِبَتي فـي فراغِــهِ الدّائري حين أكونُ امتلاءً فلسفيّاً...

فـأيُّ تُرجُمـانٍ يمتلـكُ في زُخـرُفِ الْغنـاءِ مزاميـرَ روحي النّافرة؟

و أيُّ نبْــرةٍ يتيمَــةٍ هُنــاك تحكِــي أســئِلَتي المتوَرِّمة في شرايِيني الهادِرة؟

هـا أنـا مسـكُ خِتـامٍ لبـدءٍ كـانَ شـهوةً عمْيـاء. تـركضُ في دمـي و في فمِهـا لؤلـؤةٌ خرسـاء. لهـا رقــمُ الصــفرِ فـي تــارِيخِ أَلْســنَتي، و لِســاني سبعُ صدفاتٍ غابرة.

نحتْــتُ أولاهــا فــي صــدرِ امْــرأةٍ تُــتقنُ فــنّ الصّــمت، و تعبــثُ بأضــافِرِها كلّمــا داهَمَهــا الحياءُ و قضمَ من أهْدابِها الحائرَة.

و الســابِعةُ فتِيلــةٌ تكــرِّرُ ارْتِجافَهــا الأزلِيّ في لغــة الحيــوانِ. تُلْغِيــهِ لتنشــرَ بعــدهُ وبعــدَ حــينٍ مــن الزمانِ حكايةَ اشْتِعالٍ غامرة...

فيــا أيّهــا الحــذرُ المنحــوتُ فــي جلابِيبــي الممكِنَــة. هــاتِ توْرِياتــكَ البعيــدة، ثــمّ ارْسُــمْنِي خائفــاً يســوقُ قطيــعَ الخيــالِ إلــى أعْشــابِ المــوت... حــينَ المــوتُ ينشــرُ أقاليمَــهُ في جغرافيّتِي السّادِرة.

هــاتِ صــدفتَك الثانيــة حبّــاً، و الثالثَــةَ، لعِبــاً، والرابعــةَ قُربــاً، و الخامســةَ نهْبــاً، و الســادســةَ

جُبّـاً: بـهِ ذِئْـبٌ و نبـيّ. وسـيارةٌ تنتظـرُ و ياقوتـةٌ غادِرة...

الحصـــيلةُ الآنَ فـي لســـاني: شُـــعاعٌ يتجلّـــى، منـــارةٌ تتـــدلّى و عـــينٌ ســـليلةُ نقـــشٍ عريـــق ترقُبُنـــي قبـــلَ أنْ يطْـوِيَني ليـلٌ عنيـدٌ لنهـاراتٍ عابِرة.

كلمات

***

صلْصـالٌ أعمـى و حنجـرةٌ مـن رمـلٍ، و ثالثهُمـا:
كلماتٌ ترنُّ في عُزلةِ الظلامْ...

كنـــتُ المتفـــرِّجَ و المُرِيـــد، أصْـــغِي إلـــى
انسكابها. خمرةً كانتْ و شارِبُها كانَ الكلامْ...

أطلـقَ الصّلصـالُ تعاسـتَه، و الرمـلُ امتـدادَه
الأزرق... فيمـا الكلمـاتُ العـزْلاءُ عانَقَـتْ شـكلَ
المُدامْ...

فيـــا أنـــا، و أنـــا المقْصـــوصُ فـــي أجنِحتـــي
البلّوريـة... كـمْ صـاغَني الضـبابُ خوفـاً و كـمْ
دارانِيَ الْإِعتامْ...

عشــتُ مــدلّلاً كخلْخــالِ امــرأةٍ فاتِنــة و مــتُّ مُغَفّلاً يُشيّدُنِي، و يُغْوِيني القتامْ...

الآنَ و قــــدْ علمــــتُ قبْــــرِي، أعيــــدُ صــــوغَ الكلمات...

الحبْرُ نارٌ و نور و القرطاسُ سِفْرُ الْغمامْ...

قَصِيدُ الْمُوسِيقَى

***

فِـي كَفّيْــكِ مُوسِــيقى، نَــارٌ غَجَرِيّــةٌ قَدِيمَــة
تَرْقُصُ عَلى خَدِّ الْعُزْلَة ...

تَنْبُـتُ فِي كَفِّــي، أَنَـا الْمُـدَثَّرُ بِسَــمْتِ الْعَنَاكِـبِ
زُهُـورٌ بَرّيّـةٌ، تَفِـرُّ مِـنْ فَمِـي، تَسْـتَلْقِيَ عَلى قَمَـرٍ
مُدَثَّرٍ بِالْمَسافَة ،عُذْرِيِّ الضّوْءِ ...

يُـــوقِظُ الْوُحـــوشَ الرّابِضَـــةَ فِـــي الْأَرْدَافِ
السّاحِرَة...

تَخْـرُجُ مِـنَ الْإيقَاعَـاتِ الْهَارِبَـةِ، امْـرَأَةٌ، تَـدُسُّ فِي
رَاحَتَــيَّ مِفْتاحــاً مِــنْ مــاءٍ، ثُــمّ تَــدْعُونِي إِلَـى
اقْتِحَامِ أَسْرَارِ النَّار.

قَصِيدُ الْمَاء

***

لسْـــتُ ضـــيفاً عنـــدَ كِبريـــاء الْوقْـــت، وَ لا تسْـبِقُنِي قهـوتِي، وعِطْرُهـا إلى آخِـرِ مقْعَـدٍ في مقْهى العابِرينَ، في تَرْتيبِ الوُجوه البارِدة.

والْماءُ... مَا الْماءُ ؟ مسْحٌ لذيذٌ للْمرارَة.

وأنـــا المَـــرارَةُ ذاتُهـــا، فـــي نُسْـــخَةٍ عمْيـــاءَ، لاتَسْتسِيغُ طَواجِينَ الطّين.

خَـارِجٌ أَنَـا مِـنِ تُـراب لا ينْتَشـي عبَـقَ الـرّيحِ السّاخِنة، وظلالَ الأشْجارِ العائِدة.

كـمْ أحِـبُّ الإلْحـاحَ الصّـا مِـتَ، مثـل قـاعٍ لِصـحْنٍ مَحْـروقٍ، لــذّةً مَخْطُوفَــة... قبْــل احْتِــراقٍ أخيــرٍ لأَصابِعي الشّارِدة.

أنـا، لسْـتُ شـايـاً بـارداً، شـاحباً يتَـدثّرُ بصـمْت، وَ يَرْتَشِـــفُ كُؤوســـا تـــزْدَحِمُ فـــي صَـــوانِ الاشْتِعال...

تـــأخّرَتْ عـــنْ مواعِيـــدِها، أَفْلَتَـــتْ أحْلامَهـــا الكاسِدة.

هـا هـيَ ذِي الكـؤوسُ، تَفْقـدُ لـوْنَ الْعِشـقِ بعـدَ اسْــتقالة النّــار والجَمْــرعنْ مــاءٍ يَتــيمٍ، يــتعَلّم الوُقــوفَ بِأرْجُــلٍ مــن طــينٍ، وســيقان مِــنْ قصَب ...

هـــا المـــاءُ الآنَ، شـــيْخٌ تُخْطِئـــهُ الحِكْمـــةُ، ولا تُصـيبُه... يتجَـرّعُ المـاءُ مـاءَهُ، في صَـمْتِ الكَـلامِ الميّتِ وَ فِي رِهانِ الفلْسفات الغامضة.

هـا المَـاءُ الآنَ عِشْـقٌ... جسَـدٌ مُمـدّدٌ... يتكَـرّرُ في فِيزيـاءِ الْبَصـرِ، علـى أرْصـفَةٍ مـنْ شَـهْوَة. يقْطِـفُ زهْرَةَ الْمُمْكِن في حدائِقِ الْجُنونِ البَائدَة.

جمرُ الثّمالة

***

تبَتّلِي أيّتهـا الأحْـلَامُ بِشُـعاعِ الشّـمسِ الْيَتـيم
خَارجَ مَحاريبِ الْغِوايه

فَمســـاءَاتُنا الْمُعطّلـــةُ، لـــمْ تَـــرْكُضْ بَعْـــدُ. وَ
مُهْراتُنـــا الّتـــي نَسِـــينا أسْـــماءَها صـــاغَتْها
الْمَحَـــاراتُ علَـــى مَقَاســـاتِ فسَـــاتينِ عشْـــتار
الصّامِتَة

فيَـــا أيّهَـــا الْهُـــدْبُ الْمُصَـــفّقُ لِغَيْـــري لا تَتْـــركِ
الثّلجَ يُؤَثّثُ قُمْصاني الضّيقة

فأنَـا الْأَغْبـرُ الأشْـعثُ النّـائم فِي طمْـري، مُتْـرعٌ
بالنّداءاتِ الْعَصيّة.

فلـن أرفـع مـن قيمـة الجسـد عمـراً أو عمْـرين، ولن أطويَ وجهي في اللحظات الشّارده...

وليأخــذني المــوت بعــدها طلْســماً صــوفياً مــدثراً بالشــمس، عــاريَ الأورده إلــى ســدرة المنتهــى شــجراً يعــاقر خيــوطَ البنفســج الناعسه...

تائهــاً بــين الغــيم والقمــر يربّي، رغــم الرّمــاد، شــفاهنا علـى لغـوِ النّـار علـى جمـر الثمـالات الراقصه...

أغنيات شاردة

***

دَعِينِـي أيّتُهـا الشّـبِيهَةُ بالنّبيـذِ أشُـمُّ الشِّـتاءَ في شَـفَتَيْك، و ألْـثُمُ قـوْسَ قُـزَحَ الْعـارِيَ رَبِيعـاً مُنْتَشِياً فِي خدّيْك...

دَعِينِـي أقـولُ لِلْجُنـون، اِفْـتَحْ ذِراعَيْـكَ عَلـى شَـرَايِينِ الْأغْنِيـاتِ الشّـارِدَة في لُعْبَـةِ النّسْـيان الماكرة...

دَعِينِـي أكـونُ ثَـانِي النّـازِحِين مـنْ جنّـاتِ الْخُلْـدِ بِغَيْـرِ تُفّاحـة. و بِغَيْـرِ اِسْـمٍ وَ بْغَيْـرِ إثـم. بـل بِغَيْـرِ رَسْم.

دَعِينِـي أنْـزِلُ طالِعـاً إلـى صَفْصـافاتِ عَرْفِـكِ الْغُرابِـيّ. أشْـتمُّ شَـكْلَ السّـوادِ يَخْـرُجُ فَجْـراً

رَشِـيقاً مـنْ حمّـامٍ بـارِدٍ و يخْتـالُ حافِيـاً ضـاحِكاً كأنّهُ رَبِيعُ الْبُحْتُريّ.

دَعِينِـي أفْـرِغُ السّـفِينَةَ مـنَ الـذّئابِ و الْكِـلابِ. أُفْعِمُهـا بالْعصَـافِيرِ و الْقُـبلات. و مـا تبَقّـى منْكِ منْ خُصْلات.

كـمْ أنـا سَـعِيدٌ، و يَـداكِ الْعارِيتـانِ و الرّقِيقَتـانِ تنتَشِـلاني مـن بَطْـنِ الْحـوت، ترْمِيـانِي كائِنـاً نبَوِيّاً على سَاحِلِ الْإِرْتعاشِ الْعَذِيبِ

و تَطْـوِينِي سِـيرَةَ نـبْضٍ مُلْغـاةٍ لـرِيحٍ تُرْسِـلُ الرّمادَ إلى الجُبّ الْقَديم.

تُرْسِلُ السّيّارَة تَغْسِل قَمِيصِي من حالاتِ الذّنُبِ، وَ مِنْ كلّ الشِّفاهِ الْغَلِيظَة تَلوكُ عِطْرَ الْاِنْكِسارِ فِي عَيْنِ الْاِنْتِظار.

دَعِيني... أُحْصِي عددَ الْبَقراتِ و السّنْبُلاتِ قَبْلَ أنْ أقُضّ مَضاجِعَ الزّنْزاناتِ الْهَشّة.
أخْرُجُ أميراً جدِيراً بِتاجِ عَيْنَيْكِ الوسنانتيْن

وَ جَدِيداً... أرْفُلُ فِي حِضْنِك مِثْلَ طِفْلٍ سَعِيدٍ بلحْظَة الْعِيد.

محتوياتُ الإضمامة:

.....

القصيدة	الصفحة
عباءةٌ خضراء	8
ثلاثُ ورْدات	11
في أراجيح الرّوح	13
خطوي لا يأسن	16
أنثى الفضاء	19
هي الرذاذ الجليل	23
كيف لي ؟	26
حصّتي في القضم	30
في كفّي ليلٌ عاشق	34
قصورُ الموجود	40

كعكةُ الوجْد	42
حكايةُ صفصافة	46
و كأنّ الْكأنّ	50
لم أكُ شاعرا	52
عشقي كانَ إشارة	54
ما يصيبُني ليس لُغة	57
فراشةٌ واحدةٌ تكفي	60
إنجيةٌ تحرس سبعة أبواب	65
سِيمْيائيل	70
أنحتُ شكلاً لفرسي الظّامئة	74
سبعُ صدفات	78
كلمات	82
قصيد الموسيقى	85
قصيد الماء	87
جمرُ الثمالة	91
أغنياتٌ شاردة	94

بابٌ للشجرة... تلبسُ قُفّازةً من نور و تعتلي منصّاتِ العبق و البخور و تنتهي في يدي كما ينتهي في الماء شكلُ الانسياب .

و بابٌ ليمونةٌ لها عينٌ متحفّظةٌ و عينٌ برنينٍ ملتهبة تشكو القضمَ المرتعش و تحلو كلّما سالَ في فمي و في دمي مجدُ الذهاب .

و بابٌ شتاءٌ متقاعد ليس له أجنِحة، و له كلَ الأروِقَة. يبوس خدّ النهار، يمدحُ العناقَ، و فراشات الكتفِ، و خرافاتِ الكنَفِ... يهشّ للنور و الشعاع، و يمجّ اللّيلَ الْمرتاب .